الشيخ نعيم قاسم

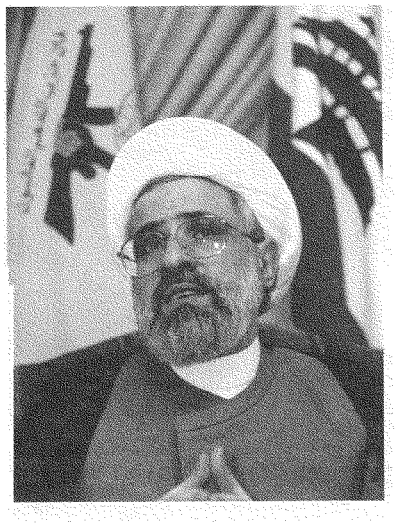

نائب أمين عام حزب اللّه ـ لبنان، منذ سنة ١٩٩١ ولخمس دورات متتالية. من مؤسّسي هذا الحزب عام ١٩٨٢، والمسؤول عن متابعة عمل نوّاب الحزب في المجلس النيابيّ. عضوُ اللّجنة الشعبيّة العربيّة لمساندة الانتفاضة في فلسطين.

١ ـ عن أهميّة المقاومة المسلّحة للنضال الفلسطينيّ:

إسرائيل دخلتْ إلى المنطقة بقوّة عسكريّة وبدعم دوليّ، واستخدمتْ كلّ إمكاناتها من أجل تثبيت الاحتلال، واستعانت بالقدرات العسكريّة الكبرى لكلٍّ من بريطانيا والدول الأوروبيّة، وبعد ذلك استعانت بالرعاية الأميركيّة المباشرة، مستخدمةً في ذلك الآلةَ العسكريّة المتطوّرة والأساليبَ القمعيّةَ الراعبة والمجازرَ المتنقّلة والدعمَ السياسيّ الدوليّ الذي يوافق إسرائيلَ على كلّ ما تصنعه من أجل تثبيت وجودها. وفي المقابل يَحْمل الشعبُ الفلسطينيُّ قضيّةً محقّةً هي بقاؤه في أرضه واستعادتُه للقسم الأكبر (الذي أصبح محتلاً) من الأرض الفلسطينيّة. وعندما يكون المتقابلان هما إسرائيل والفلسطينيّين، فمعنى ذلك أنّ القوّة المتغطرسة والمعتدية الإسرائيليّة ستواجه الشعبَ الفلسطينيَّ الأعزل. ولا يُمْكن هذا الشعبَ أن يعيدَ أرضَه، أو أن يُحْدثَ التوازنَ المطلوب مع عدوّه، بغير المواجهة العسكريّة. فلقد أَثْبتت التجاربُ أنّ القرارات الدوليّة ما هي إلاّ قراراتٌ وهميّةٌ يرادُ منها تقطيعُ الوقت وإعطاءُ الفرصة لإسرائيل كي تَخْدم احتلالَها ومن ثم تَخْطو خطوةً جديدةً: ففي البداية تمّ الاحتلالُ لمناطق ٤٨، فجاء قرارُ التقسيم الذي يَقْضي بدولتَيْن واحدة للفلسطينيّين وواحدة للإسرائيليّين؛ ثم أتى الاحتلال عام ٦٧؛ وانعقد مؤتمرُ مدريد على أساس النقاش في ما يُمْكن إعادتُه من أراضي ٦٧ دون الحديث عن أراضي ٤٨؛ وعند المفاوضات التفصيليّة تبيَّن أنّ النقاش يدور حول قسم قد لا يتجاوز نصفَ الضفّة الغربيّة (أيْ نصفَ الأراضي المحتلّة بعد ٦٧). وكل المعارك التي دارتْ بعد ذلك، وخاصةً في المرحلة الحاليّة، تريد أن تثبّت مقولةَ اختيار الإسرائيليّين للمساحة التي يُمْكن أن تُعطى للفلسطينيّين تحت ضغط القوّة: فإذا رفض الفلسطينيُّون فإنّ تسلُّط الطائرات والدبابات والقصف والمجازر هو القاعدة المعتمدة لفرض الشروط الإسرائيليّة عليهم.

أمام هذا الواقع كيف يُمْكن الفلسطينيّين أن يستعيدوا حقوقَهم؟ لا يُمْكنهم الاعتمادُ على القرارات الدوليّة لأنّها حبر على ورق ولأنّها جائرة في أحسن حالاتها لكونها لا تعيد إلاّ القسمَ القليلَ من الأراضي الفلسطينيّة: فأراضي ٦٧ تساوي حوالى ٦ آلاف كيلومتر، بالمقارنة مع مساحة فلسطين التي هي ٢٧ ألف كيلومتر. بل إنّ القرارات الدوليّة، عدا كونها جائرةً، غيرُ قابلةٍ للتطبيق: ١) بسبب الرعاية الأميركيّة للمشروع الإسرائيليّ؛ و٢) بسبب استخدام الإسرائيليّين للقوّة من أجل فرض شروطهم؛ و٣) أثبتت التجارب أن لا فائدة من حوار يجري بين الفلسطينيّين والإسرائيليّين لأنّه لن يؤدّي إلى نتيجة ملموسة ـ وها هم الإسرائيليُّون الآن يَرْفضون أن يحاوروا مَنْ وافَقَ مِنَ الفلسطينيّين أن يحاورَهم. إذن، الحلّ الوحيد هو المقاومة التي يُمْكنها أن تغيِّر واقعًا ميدانيّاً وأن تؤسِّس للتحرير وتَحْفظَ الأرضَ المتبقية تمهيدًا لاستعادة الأرض التي سُلِبتْ من قبل الإسرائيليّين. وعليه، نحن لا نرى طريقًا غيرَ طريق المقاومة المسلّحة في النضال الفلسطينيّ من أجل الاستقلال. وقد أثبتتْ تجربتُنا في لبنان، نحن في حزب اللّه، أنّ المقاومة استطاعت أن تحرِّر أغلبيّة الأرض اللبنانيّة: بينما لم تتمكّن القراراتُ الدوليّةُ ـ وعلى رأسها قرارُ ٤٢٥ ـ أن تَصْنع شيئًا، ولم تتمكّن الفترةُ الزمنيّةُ التي امتدّت ٢٢ سنة من احتلال إسرائيل للبنان أن تعالج هذه الأزمةَ المستعصية. ومن ثم نقول إنّ القوّة العسكريّة هي الطريق الوحيد للدفاع عن النفس ولتحرير الأرض واستعادة المقدّسات. وهو ما نَعْتقد أنّه يسري أيضًا على حالة فلسطين.

٢ ـ عن أضرار الكفاح المسلّح على الفلسطينيّين:

لولا المقاومة المسلّحة لما أَمْكنت المحافظةُ على الهويّة الوطنيّة الفلسطينيّة. فالذي أَبْرزَ وجودَ قضيّة فلسطين حتى الآن، على الرُّغم من مرور ٥٣ سنة على الاحتلال، هو المقاومة المسلّحة. وإلاّ

فكلُّ المساعي الإسرائيليّة كانت تتركز على محاولة دمج الفلسطينيّين داخل أراضي عام ٤٨ في الدائرة الإسرائيليّة وإعطائهم هويّاتٍ إسرائيليّةً تمهيدًا لإجراءات أخرى تلغي المطالبةَ بفلسطين. بينما استطاعت المقاومةُ المسلّحة أن تُبْقي الأزمةَ قائمةً، وأن تُبْقي عنوانَ «تحرير فلسطين» عنوانًا قائمًا؛ وهو الأمر الذي جعل هذه القضية قضيّةً حيّةً في الوجدان الفلسطينيّ من ناحية، وفي الوجدان العربيّ من ناحية ثانية، وعلى صعيد المطالبة بالحقوق الفلسطينيّة على المستوى الدوليّ من جهة ثالثة. إنّ حياة القضيّة خلال السنوات الثلاث والخمسين الماضية واستمرارَها الآن هما بسبب المقاومة المسلّحة، بل إنّ هذه المقاومة هي التي تُبلور الهوية الفلسطينيّة أكثر فأكثر. والانتفاضة الأخيرة التي حملتْ هذا الإطار المسلّحَ استطاعت أن تعيد دمجَ مواطني فلسطين داخل أراضي ٤٨ بكل الواقع الفلسطينيّ، لتعود الهويّةُ الفلسطينيّةُ الموحّدةُ هي الهويّةَ الغالبة.

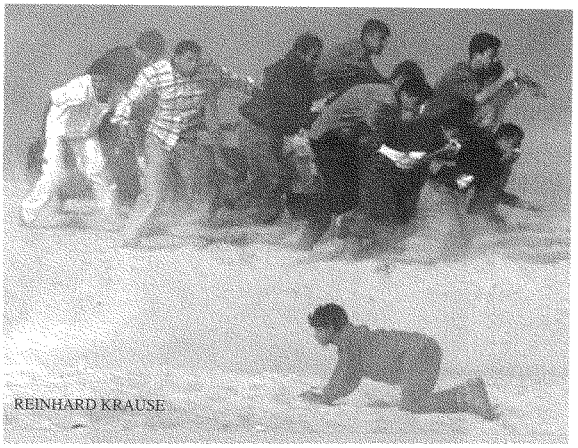

«رميُ الحجارة والمظاهرات... أعمال تَنْفع بنسبة محدودة»: مظاهرة في غزّة

المقاومة كانت أمرًا لا غنًى عنه على قاعدة أنّها هي التي يُمْكن أن تُسقط المشروعَ الصهيونيَّ، وأنّها هي التي تَجْمع الفصائلَ الفلسطينيّةَ من أجل التحرير، ولأنّنا في زمن لا مكان فيه إلاّ للأقوياء الذين يدافعون عن أنفسهم أو للأقوياء الذين يتسلّطون على الآخرين. نحن لسنا في الموقع الثاني، بل في الموقع الأوّل. وعليه، كان لا بدّ من هذه المقاومة.

أمّا بصدد سؤالكم عمّا إذا قدّمت المقاومةُ الفلسطينيّةُ المسلّحةُ «صورةً مشوّهةً عن الفلسطينيّين» للمجتمع الدوليّ، فإنّنا نقول إنّ هذه مقولةٌ خاطئةٌ. وذلك أنّ المجتمع الدوليّ عندما أعطى الصورةَ المشوّهة عن الفلسطينيّين بشكل عامّ إنّما أعطاها بسبب الإعلام المخابراتيّ الموجّه من قبل الأميركيّين وبعض الأوروبيّين واللوبي الصهيونيّ المنتشر في العالم؛ وهو إعلام صَوّر الفلسطينيّين مجرّدَ قتلةٍ وخاطفي طائرات. ولو حاولنا أن نَدْرس تاريخَ القضيّة الفلسطينيّة بأسرها منذ ثلاثٍ وخمسين سنة إلى الآن لوجدْنا أنّ عدد عمليّات خطف الطائرات وعدد الأعمال التي يُمْكن أن تُصنَّف في خانة الأعمال الإرهابيّة أعمالٌ محدودةٌ لا تتجاوز أصابع اليديْن، وهي تعبيرٌ عن الألم والمرارة في مواجهة التواطؤ الدوليّ والمجازر الإسرائيليّة... بينما نستطيع أن نقدّم سجلاً حافلاً بالمجازر الإسرائيليّة المتنقّلة والتصفيات والتفجيرات الإسرائيليّة التي حصلتْ في أماكن مختلفة من العالم ضدّ الفلسطينيّين وضدّ غيرهم. ومازلنا إلى اليوم نَسْمع تزوير إسرائيل لجوازات سفر كنديّة أو فرنسيّة أو ما شابه للقيام بأعمال إرهابيّة في مختلف أنواع العالم. يضاف إلى ذلك سجلُّ الاعتداءات المتكرّرة التي تَحْصل في الداخل الفلسطينيّ بشكل مأساويّ. فالإسرائيليُّون يَقْتلون، ويُصفّون الجريحَ، ويَقْصفون بالطائرات المدنيّين العزّل، ويَهْدمون البيوت. ومع ذلك نرى أنّ المجتمع الدوليّ يُعْطيهم الغطاء والحماية؛ فالساسةُ الكبارُ في العالم تبنّوا المشروعَ الإسرائيليّ بكلّ حيثيّاته، بينما يوجد عداءٌ للمشروع الفلسطينيّ بشكل عام.

أمّا سؤالكم ما إذا كانت المقاومةُ المسلّحةُ تُستخدم ضدّ الفلسطينيّين فهذا أمرٌ مبالغ فيه. فمن الطبيعيّ، عندما تتواجد فصائلُ فلسطينيّةٌ متعدّدةٌ وتكون هناك اختلافاتٌ وأهواء سياسيّةٌ وتدخُّلات من دول متعدّدة للأسف، أن يصبح بعضُ السلوك الفلسطينيّ الداخليّ سلوكًا تنافسيّاً؛ ومع وجود البندقيّة قد يتحوّل هذا السلوكُ صراعَ زواريب. لقد حصل هذا الأمرُ وكان مسيئًا في السابق ومحطةً سلبيّةً في مسيرة النضال الفلسطينيّ. ولكنّ هذا لا يَعْني أن نُوقِفَ النضالَ الفلسطينيَّ والجهادَ الفلسطينيَّ بسبب بعض الخرق أو الخلل اللذيْن حصلا... علمًا أنّنا نلاحظ في السنوات الأخيرة تضامنًا فلسطينيّاً جيّدًا على العموم، ولا نَلْحظ تقاتلاً فلسطينيّاً داخليّاً. وهذا يَعْني أنّ التقاتل أمرٌ استثنائيّ، ولكنّنا يجب أن نوقفَه لمصلحة القضيّة الكبرى. وقد لاحظنا أنّ الانتفاضة الأخيرة التي مازالت مستمرّةً منذ أكثر من سنة وثلاثة شهور قد وحّدتْ جميعَ الفلسطينيّين على اختلاف قناعاتهم ومنظّماتهم وشخصيّاتهم حول المقاومة المسلّحة؛ ذلك أنّ الخطر حين يكون داهمًا على القضيّة الفلسطينيّة ويَشْعر الجميعُ بمستوى خطورته يُمْكنهم أن يتوحّدوا ويتجاوزوا خلافاتهم. من هنا نؤكّد ضرورةَ تجنُّب حلّ أيّ خلاف بالعنف، وعدم استخدام السلاح لتصفية الحسابات الداخليّة. بل نؤكّد على ضرورة أن تتنبّه السلطةُ الفلسطينيّةُ ألاّ تكون أداةً قمعيّةً ضدّ المقاومة التي هي خارج دائرة قرارات السلطة، لأنّ المطلوب هو أن تتكاتف كلُّ القوى من أجل التحرير.

٣ ـ عن أثر البُعْد الأخلاقيّ على السياسيّ:

يجب على حركة التحرير الفلسطينيّة أن تكون حريصةً على البُعْدَيْن السياسيّ والأخلاقيّ في أيّ عمل عسكريّ مقاوم تقوم به. ومن ثم لا يُمْكن فصلُ الأعمال العسكريّة عن البُعْد الأخلاقيّ، وعمّا يُعْطي هذه الأعمالَ الصورةَ المشرقة والإيجابيّة كي تَبْقى المقاومةُ بنضارتها ونصاعتها. إنّ أخلاقيّة المعركة أمرٌ ضروريٌّ. وفي هذا الصدد يُروى عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عندما قتله عبدُ الرحمن بنُ ملجم أنّه جَمَعَ ولديْه الحسنَ والحسيْنَ

وبني عبد المطّلب ووجّههم قبل أن يُسْتَشْهد على أثر الضربة بقوله: «يا بني عبد المطّلِب، لا أَلْفينَّكم تخوضون دماءَ المسلمين خَوْضًا. تقولون قُتِلَ أميرُ المؤمنين. ألاَ لا تَقْتُلَنَّ بي إلاَّ قاتلي. انظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه، فاضربُوهُ ضربةً بضربةٍ، ولا يمثِّل بالرجل. فإنِّي سمعتُ رسولَ اللَّه، صلَّى اللَّه عليه وآله وسلَّم، يقول: إيَّاكم والمُثْلَة ولو بالكلب العقور.» نحن نَعْتبر أنَّ السلوكيَّة الإسلاميَّة والأخلاقيَّة في التعاطي ضمن حركة التحرُّر والمواجهة أمرٌ ضروريّ. لكنْ بطبيعة الحال لا يُمْكن التدقيقُ كثيرًا عندما يكون الإنسانُ في حالة دفاعٍ عن النفس. والفلسطينيُّون اليوم في حالة دفاع عن النفس؛ وعندما يتدرّس الجنود الإسرائيليُّون بالمواطنين عندهم، ويحاولون اعتمادَ القصف والقَتلِ والقمع، ويكونون داخل المدن وبعيدين عن وصول الناس إليهم، فإنَّ هناك ضروراتٍ عمليَّةً عسكريَّةً للمقاومة لا بدّ منها لإحداث نوعٍ من التوازن ولمنع هذا العدوّ من التمادي. فالعدوّ الذي يأتي لقتل المدنيِّين ويَقْصف بالطائرات ويَهْدم البيوتَ لا يُمْكن أن يواجَه في ثكناته بل في الطرق أيضًا وفي مواقع مختلفة. لذا يُمْكن أن تكون هناك بعضُ الأعمال المحدَّدة التي تُساعد في إحداث رُعبٍ في هذا العدوّ كي يرتدعَ ويقفَ عند حدّه. ثمَّة فرقٌ كبيرٌ بين الاعتداء من جهة، وصدِّ الاعتداء والدفاع عن النفس من جهة ثانية. والمقاومةُ الفلسطينيَّة هي في حالة دفاعٍ عن النفس كما قلنا، وعليها أن تراعيَ ما أمكنها أخلاقيَّةَ المواجهة التي حثّ عليها الإسلامُ. لكنَّ هناك بعضَ الأعمال المبرَّرة التي تَدْخل في دائرة الخيار الوحيد أو في دائرة الضغط على الإسرائيليِّين، خاصةً أنَّ المستوطنين بشكل عام هم من المسلّحين والمقاتلين ويسبِّبون أضرارًا مختلفة.

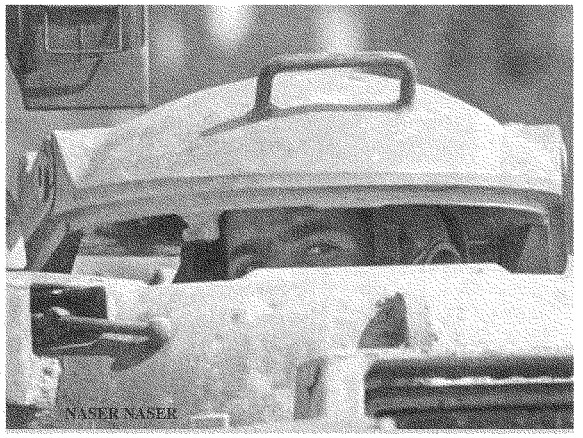

«إنَّ إسرائيل تخاف كثيرًا من موت أيّ عنصر» : جنديّ إسرائيليّ يراقب مظاهرة في رام اللّه

٤ ـ عن إمكانيَّة المقاومة المسلّحة اليوم، وفعّالية الانتفاضة الأولى:

المقاومة المسلّحة أمرٌ طبيعيٌّ ومطلوبٌ من أجل التحرير. وقد أثبتت التجاربُ دورَ هذه المقاومة المسلّحة في تحقيق التحرير بشكل عامّ. ومع سيادة القطب الواحد اليوم، والضغوطِ التي تمارسها أميركا، تصبح هذه المقاومةُ أصعبَ وأكثرَ تعقيدًا ولاسيَّما مع الدعم الأميركيّ المطْلق لإسرائيل. ولكنَّ هذا لا يَعْني أن نُسقط هذه المقاومة المسلّحة من الحساب، خاصةً أنَّه لا يوجد بديل آخر منها. إنَّ المقاومة المسلّحة مطلوبة، وهي ممكنة. وبكل صراحة أقول إنَّ التضحيات التي تَنْشأ عن المقاومة المسلّحة يمكن أن تحقّق نتيجةً إيجابيَّةً ما؛ وأمَّا عدمُ المقاومة فسيؤدّي إلى مذلّة حقيقيَّةٍ وإلى خسائر متلاحقة. المقاومة تَحْمل أملاً مستقبلياً؛ وأمَّا عدمُ المقاومة فيَحْمل انهزامًا وخسارةً لكل شيء.

أمَّا طريقةُ عمل غاندي ومانديلا النضاليَّة التي اتّبعاها في بلديْهما فأنا أعتقد أنَّ الظروف في فلسطين تَخْتلف تمامًا. وإسرائيل لا يُمْكن أن يؤثِّر فيها هذا النوعُ من النضال إطلاقًا، بل هي حاضرة لأن تزجّ بمجموعة من الإسرائيليِّين ليتظاهروا مع الفلسطينيِّين ويستنكروا تحت عنوان «السِّلْم» ثم تأكل فلسطينَ بكاملها دون أن يتحرَّك أيُّ ساكن. لا يمكن تطبيقُ ذلك النضال في فلسطين لأنَّ إسرائيل تَسْتخدم القوَّة المفرطة بشراسة، ولا يُمْكن معالجةُ هذه القوَّة بالسكوت والصمت والصبر والتظاهر بل ولا بالكلمات وحدها. إنَّ هذه الأساليب لا تُجْدي نفعًا في عصرنا الحاليّ، وفي فلسطين بالتحديد.

أمَّا رميُ الحجارة والمظاهراتُ والمقاطعةُ الاقتصاديَّةُ للبضاعة الإسرائيليَّة ـ كما جاء في سؤالكم ـ فهذه أعمالٌ تَنْفع بنسبةٍ محدودة. نحن لا نَدْعو إلى عدم القيام بهذه الأعمال، بل على العكس من ذلك نقول: إنَّها إسهاماتٌ مناسبةٌ ومفيدة، ولكنْ لا يُمْكن أن تؤْتي ثمارًا حقيقيَّةً إذا تمّ الاكتفاءُ بها. إنَّها تكتيكات محدودةُ الفعاليَّة. وكنّا نقول عند بداية هذه الانتفاضة الأخيرة بالحجارة إنَّ خيارها الفعّال هو أن تتحوّل إلى انتفاضةٍ مسلّحة. وبالفعل بدأتْ تتبلور الانتفاضةُ أكثر، وانتقلتْ إلى الحالة المسلّحة، وبدأ الإسرائيليُّ يَشْعر بخطرها وقوتها وفعّاليَّتها، في حين أنَّه كان في البداية يَقْتل العشرات من الفلسطينيِّين ولا يتأثَّر. إنَّ إسرائيل تخاف كثيرًا من موت أيّ عنصر وتَحْسب حسابًا لأيّ عنصر تَخْسره، وتَعْتبر أنَّ أمن الأفراد الإسرائيليِّين هو النقطة المحوريَّة والمركزيَّة. ولا يُمْكن مواجهةُ هذا الأمن إلاَّ بالمقاومة المسلّحة. أمَّا الأشكال الأخرى فهي أشكالٌ مساعِدةٌ وجزئيَّة ولا يمكن أن تكون فعّالة وبديلة من المقاومة المسلّحة التي يجب أن تكون هي الأساس وفي صدارة أعمال المقاومة.

٥ ـ عمّا إذا كانت المقاومة المسلّحة ردَّ فعل، وما هي البدائل:

من المؤكَّد أنَّ الانتفاضة الحاليَّة جاءت ردَّ فعلٍ على مجموعة من التراكمات الطويلة التي حصلتْ في مسار القضيَّة الفلسطينيَّة. وكان دخولُ شارون إلى «الحَرَم» هو لحظةَ الانفجار بعد المآزق المتتالية التي عاشها الشعبُ الفلسطينيُّ. إنَّ ردّة الفعل الفلسطينيَّة هذه ليست ردَّةً عفويَّةً مجرَّدةً، بل ردّة على تراكمٍ طويل. كما أنَّ ثمَّة رؤًى موجودة عند فصائل فلسطينيَّة مختلفة بضرورة المواجهة العسكريَّة؛ وقد جاءت الانتفاضةُ فرصةً أمام هذه الفصائل لإثبات

قناعاتها ومقولاتها. وانخرط معظمُ الشعب الفلسطينيّ بفصائله في هذا الاتّجاه. ليست الانتفاضةُ الحاليّةُ، إذنْ، ردّةَ فعلٍ عاديةً بل هي ردّةُ فعلٍ ضمن مشروع تحرير لا بدّ من بلورته ومتابعته ومواكبته.

أمّا أن يتصدّى المجتمعُ الدوليُّ ليتحدّث بكلماتِ إدانةٍ ملطّفةٍ لا تَخْرج عن بعض البيانات السياسيّة التي لا ترجمةَ عمليّةً لها، فلا فائدة من ذلك ولا قيمةَ. كان يُفْترض بالمجتمع الدوليّ إذا كان منصفًا أن يَحْمل قواته على طرد الإسرائيليّين وإيقافهم عند حدّهم واستخدام القوّة ضدّهم، كما حصل في العراق وأفغانستان وأماكنَ مختلفةٍ تحت شعار «وقف الاعتداء على بلد آخر» أو «التصدّي لمخالفة الاستقرار الدوليّ.» بينما يُكتفى مع الإسرائيليّين في أقسى الحالات بـ «الأسف» ويتحفّظ «المجتمعُ الدوليُّ» من أيّ عبارةٍ فيها شيءٌ من الإدانة لإسرائيل خوفًا من أن يسجّل نقطةً سلبيّةً على إسرائيل، مع التبنّي الكامل أميركيّاً وغربيّاً لهذا المشروع الإسرائيليّ. من هنا، فإنّنا لا نوافق على أنّ استخدام تعبيرَي «العنف الإسرائيليّ المفرط» أو «القوّة الإسرائيليّة المفرطة» إرضاءً للفلسطينيّين. ولا حلّ أمام هؤلاء إلاّ المقاومة، ولن يحترمهم المجتمعُ الدوليّ إلاّ بها، ولن يغيّروا واقعهم إلاّ من خلالها.

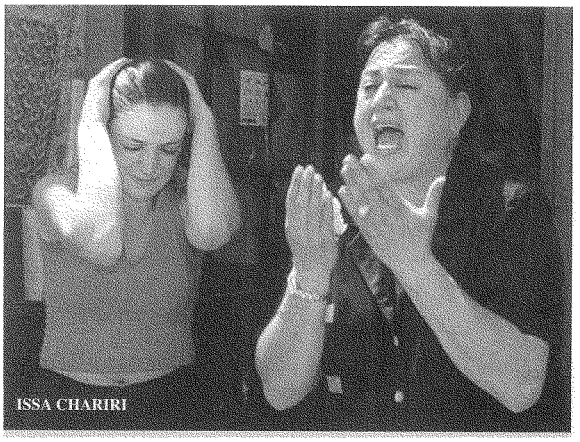

«الآن... لا يمكن... تحقيق هزيمة كبرى... بل تحقيق ضربات عسكريّة موجعة» : تفجير في القدس (٩ آب ٢٠٠١)

٦ ـ عن تأثير المقاومة المسلّحة في إسرائيل:

الأمن هو المطلب الإسرائيليّ الرئيسيّ، وضربُ الأمن هو نقطة الوجع الإسرائيليّة. فلكي تكون المقاومةُ الفلسطينيّةُ فعّالةً يجب أن تستمرّ في ضرب الأمن الإسرائيليّ، ويجب أن توقعَ أكبرَ عددٍ ممكنٍ من القتلى الإسرائيليّين في عمليّة المواجهة؛ فهذا الأمر هو الذي يرعبهم وهو الذي يجعلهم يعيدون النظر في طريقة أدائهم وفي احتلالهم للمنطقة. وبغير هذه الطريقة لا يوجد حلّ. إذن، المقاومة الفلسطينيّة مقاومة مشروعة، وعليها أن تستمرّ في ضرباتها لهدّ الأمن الإسرائيليّ ولضرب نقطة الوجع الإسرائيليّة. وما لم يكن الأمنُ الإسرائيليُّ في صدارة المواجهة فلن يمكن تحقيقُ أيّ هدف آخر.

أمّا سؤالكم عن إلحاق الهزيمة العسكريّة بإسرائيل فهذا أمر مبكّر ويجب ألاّ نستعجلَ المسائلَ؛ إذ لا يوجد تكافؤ عسكريٌّ بين الفلسطينيّين والإسرائيليّين، بل يوجد خللٌ عسكريٌّ كبيرٌ جدّاً. فليكن شعارُ المقاومة الفلسطينيّة «إسقاط الأمن الإسرائيليّ،» ومن ثمّ «إسقاط مشروع الاستقرار الإسرائيليّ،» تمهيدًا لتحقيق مكتسبات إضافيّة في المستقبل تؤدّي إلى هزيمة عسكريّة. أمّا الآن فلا يمكن أن نتوقّع اختلالاً في ميزان القوى بحيث يتمكّن الفلسطينيُّون من تحقيق هزيمة عسكريّة كبرى بالقوات الإسرائيليّة. نعم، يمكن تحقيقُ ضرباتٍ عسكريّةٍ موجعة. ويمكن تحقيقُ إنجازات عسكريّة فلسطينيّة مهمّة. ويمكن بثُّ الرعب في الجيش الإسرائيليّ ومَنْ يتلطّى وراءه. وهذا كلُّه قد يُحْدث نقاشاتٍ في الداخل الإسرائيليّ، والكلُّ يَعْلم أنّ الإسرائيليّين بدأوا يناقشون ما يَجْري على ساحتهم. وهناك قسمٌ من المهاجرين خرجوا من فلسطين، وقسمٌ من الذين كانوا ينوون القدومَ إلى فلسطين يتأمّلون ويفكّرون قبل الإقدام على ذلك. وبالتالي هناك أضرارٌ كبرى حصلتْ في الواقع الإسرائيليّ، وهذه الأضرار أحدثتْ وستُحدث نقاشاتٍ داخليّةً قد تؤثّر على مستقبل هذا الكيان. ولكنّنا لا نوافق أن تكون هذه المقاومةُ مقدّمة لاستدراج بعض العروض السياسيّة المحدودة التي تَسْتهدف مقايضةَ الكيان الإسرائيليّ ببعض المساحات من الأرض الفلسطينيّة أو ببعض المكاسب السياسيّة للفلسطينيّين. ذلك أنّ عنوان التحرير هو الأساس، ويجب أن يبقى حاضرًا في الأذهان.

ولا يُمْكن ـ كما قد يوحي سؤالكم ـ الاعتمادُ على الشارع العربيّ، أو على الحكّام العرب. نعم، يجب أن نَعْمل على التحريض حتى يتحرّك هذا الشارع العربيّ ويقدّم إسهاماته ويتحمّل مسؤوليّاته، لأنّ سقوط فلسطين يعني سقوطَ كلّ العرب وكلّ المسلمين. فالمشروع الإسرائيليّ لا يتوقّف عند حدود الدولة الفلسطينيّة وإنّما يمتدّ من المحيط إلى الخليج، بل إلى ما يتعدّى ذلك، بحيث يكون النفوذُ الإسرائيليُّ نسخةً مظهّرةً للنفوذ الأميركيّ على مستوى العالم. من هنا يجب أن نخوض عمليّة توعية وتعبئة في العالم في هذا الاتّجاه.

أمّا بالنسبة إلى سؤالكم عن ضرب المصالح الأميركيّة فنحن لا نؤيّد التوجه إلى ضرب هذه المصالح من الناحية العسكريّة. نعم يجب مقاطعةُ البضائع الأميركيّة، ويجب فضحُ المخطّطات الأميركيّة، لكنْ يجب أن يكون التركيزُ على الاحتلال الإسرائيليّ مباشرةً وعلى الأرض المحتلّة في هذه المنطقة لأنّ عملاً كهذا هو الذي يَمْتلك المشروعيّةَ الصافيةَ التي لا التباسَ فيها، وهو الذي يُمْكن أن يحقّق إنجازاتٍ أهمّ بكثير من أن نتلهّى بأعمال جانبيّة أو بـ «فشّة خلق» من خلال ضربات خارج دائرة الأرض المحتلّة وخارج دائرة المواجهة المباشرة مع الإسرائيليّين.

وأمّا بصدد سؤالكم عن إمكانيّة أن تقوّي المقاومة اليمينَ الإسرائيليَّ، فنحن لا نعوّل كثيرًا على خلافات اليمين واليسار الإسرائيليّ لأنّهما كليْهما في اتّجاه واحد: يَخْتلفان في كيفيّة إخراج الموقف، فيَحْمل اليسارُ مرونةً في عرض أفكاره التوسُّعيّة،

في حين يَحْمل اليمينُ «جلافةً» في هذه الأفكار نفسها. لكنَّ أغلب الحروب والاعتداءات الصارخة التي حصلتْ في المنطقة كانت من حزب العمل. وهذا يؤكّد أنَّ الفارق بينهما بسيطٌ وغيرُ مؤثِّر أو فعّال. فإذا كان جزءٌ من الخطّة إيجادَ إرباك في الداخل الإسرائيليّ بين اليمين واليسار فهذه مسألة مفيدة، ولكنَّنا لا نعوّل عليها أهميَّةً وليست هي المشروعَ. فنحن لا نريد في النهاية أن ننقسم، كعرب أو كمسلمين، بين مؤيِّدين لليسار الإسرائيليّ وآخرين مؤيِّدين لليمين الإسرائيليّ، كي لا نصبح جزءًا من اللُّعبة الإسرائيليَّة والأدوات الإسرائيليَّة وخدمةً للمشروع الإسرائيليّ. نحن نَعْتبر أنَّ الطرفيْن متواطئان ومعاديان لحقّ الشعب الفلسطينيّ، وعلى الإسرائيليِّين أن يتركوا الأرضَ لأصحابها. إنَّ مواجهة المشروع الإسرائيليّ هي مواجهة اليمين واليسار على حدّ سواء.

أمَّا أن يتحدَّث البعض عن «دعم شعبيّ إسرائيليّ غير مسبوق لحكومة شارون» كما جاء في سؤالكم، فهذا يؤكّد المقولة التي تَجْعل الشعبَ الإسرائيليَّ بأسره تقريبًا محكومًا بعقليَّة شارون ومحكومًا بهذا الاتِّجاه الذي يريد القضاء على الفلسطينيِّين. ولا خيار، من ثمَّ، إلاَّ العمل من أجل التحرير.

٧ ـ عن نموذج حزب اللّه:

نجح حزبُ اللّه في إيجاد حالة توازن رعب مع إسرائيل. وقد برز هذا الأمرُ بشكل واضح في تفاهم نيسان سنة ١٩٩٦، حيث كان لصواريخ الكاتيوشا التي تَنْزل على المستعمرات الشماليَّة في فلسطين المحتلّة الأثرُ الكبيرُ في أن يَخْشى الإسرائيليُّون تهجيرَ مئات الآلاف منهم، فاضطروا إلى حصر اعتداءاتهم في دائرة معيّنة، فتمكّنت المقاومةُ من تسجيل إصابات مباشرة في الإسرائيليِّين دون أن يتمكّن هؤلاء من توسيع اعتداءاتهم المؤْلمة والمؤذية بشكل مستمرّ لأنَّهم يخشَوْن من توازن الرعب الذي أوْجدته تلك الصواريخ. وفي اعتقادنا أنَّ الفلسطينيِّين أيضًا يَمْلكون قدرةً على إيجاد توازنِ رعبٍ ضمن معادلة تخصُّهم في الداخل، وتكونُ تفاصيلُها مرتبطةً بظروفهم الجغرافيَّة والميدانيَّة. أنا لا أرغب في أن أتحدَّثَ عن رؤيتنا لهذه المعادلة وكيفيَّة تشكيلها، بل نُبقي المجالَ مفتوحًا لاختيارات لها علاقة بتطبيقات ميدانيَّة، وبالوصول إلى نتائج لا تَحْترق من كثرة الحديث عنها. لا بدّ أن توجد بعضُ الأمور التي تُحْدث توازنَ رعبٍ مع إسرائيل، وعنوانُها الأساسُ هو استخدامُ القوَّة العسكريَّة لتهديد إسرائيل ممَّا تَخْشى أن يتمكَّن الفلسطينيُّون من تهديده. ولعلّ الضربَ في مناطق ٤٨ هو من الأمور الهامَّة جداً في إحداث مثل هذا التوازن.

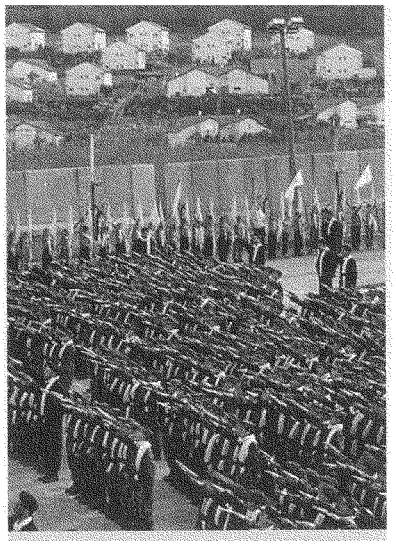

«نجح حزب اللّه في إيجاد حالة توازن رعب مع إسرائيل»: أشبال من الحزب أمام المستوطنات

على كل حال، هذه التكتيكات هي من المسائل التفصيليَّة التي لها علاقةٌ بالأداء الفلسطينيّ المقاوِم؛ والفلسطينيُّون أَخْبَرُ بما يُمْكن أن يُحْدثوه.

أمَّا الخوف من «المجازر الضخمة والعمليَّات الواسعة» كما جاء في السؤال، فالواضح أنَّ إسرائيل تقوم بهذه الأعمال بشكل متكرّر. ولم تتوقَّف المجازر، ولا هدمُ البيوت، منذ سنة ١٩٤٨. إذن لا يُمْكن تحت عنوان التخويف أن تكون الاستكانةُ للمشروع الإسرائيليّ هي الأساس. نعم توجد تضحياتٌ في هذا الأمر، وسيحاول الإسرائيليّ أن يُرعب ويخيف. وعلينا نحن أن نفتّش عن طرق حتى يرتعب هو أيضًا فلا نكون مجرَّدَ متلقّين للرعب الإسرائيليّ، بل أن يكون الإسرائيليُّون متلقِّين لرعب المقاومة الفلسطينيَّة.

٨ ـ عن فعّاليَّة الهجوم على المستوطنين:

المستوطنون بشكل عامّ مسلّحون، وهم يقاتلون ويَقْتلون الفلسطينيِّين ويقفون في موقع المعتدي. ويشتدّ هذا الأمرُ في أراضي ٦٧، مع العلم أنَّنا نعتبر أنَّ كلّ فلسطين محتلّة. من هنا إذا قام الفلسطينيُّون ببعض العمليّات ضدّ المستوطنين فهم يقومون بعملٍ ضدّ محتلّين، لا بعمل غير طبيعيّ أو غير عاديّ. وهذه العمليات لها بالتأكيد أثرٌ فعّال لأنَّها توصل رسالةً إلى الإسرائيليِّين مفادُها أنَّ احتلالكم لا يمكن أن يكون مقبولاً ولا يمكن أن يصبح واقعًا ولا يمكن أن يتعايش مع الواقع الفلسطينيّ.

٩ ـ عن المسرح الملائم للمقاومة المسلّحة:

العمليات الفلسطينيَّة مشروعة على كلّ الأراضي المحتلّة الفلسطينيَّة، سواء كانت أراضي ٤٨ أو ٦٧. ولا معنى لإعطاء إسرائيل مكافأةً في أراضي ٤٨ بحيث تكون هذه الأراضي قاعدةً للأمن الإسرائيليّ تؤسِّس فيها إسرائيلُ لأخذ أراضٍ أخرى في مناطق ٦٧. يجب أن تَشْعر إسرائيل بشكل مباشرٍ أنَّ جميع الأراضي المحتلّة هي أراضٍ غيرُ آمنة. وهذه التصنيفات [٤٨ و٦٧] التي وضعتها الأممُ المتحدةُ تصنيفات مجتزأة لا يمكن أن تكون فعّالة ولا منطقيَّة، خاصةً أنَّ إسرائيل هي التي تَعْتدي وهي التي تَنْتقل من أراضٍ إلى أراضٍ أخرى. على كل حال نحن نَعْتبر أنَّ فلسطين محتلّة، وأنَّ مواجهة الاحتلال مشروعةٌ في كلّ مكان.

١٠ ـ عن دور الرأي العامّ العالميّ:

الرأي العامّ العالميّ يُصنع صناعةً من قبل دوائر الاستكبار العالميَّة، أو من قبل التوجُّهات الأميركيَّة والغربيَّة. ومن ثمَّ لا يُمْكن التعويلُ على الرأي العامّ كرأي مؤثِّر مباشرةً، لأنَّ مَنْ يَصْنعه

يوجّهه في الاتّجاه الذي يريده. ومَنْ يلاحظ التلفزيونات الأميركيّة والغربيّة يَرَ أُحاديّة التركيز على المنطق الإسرائيليّ في مواجهة المنطق الفلسطينيّ. نعم، علينا أن نتوجّه إلى الرأي العامّ بقدر استطاعتنا. أمّا أن نَبْني آمالاً عليه فهذا أمرٌ خاطئ. هناك تسييرٌ للرأي العامّ الغربيّ من خلال الاستخبارات. وأَعْتقد أنّ التجربة الأخيرة حول أفغانستان كانت واضحة: فقد أصدرتْ وزارةُ الأعلام الأميركيّة، ومن ورائها المخابراتُ الأميركيّة، قراراتٍ رسميّةً تَمْنع وسائلَ الإعلام من بثّ بعض الأشياء وتسمح ببثّ بعض الأشياء الأخرى. وهذا يُسْقط حريّةَ الإعلام المصطنعة التي كانوا يتحدّثون عنها، لمصلحةِ تركيز أفكارٍ يريدها الساسةُ الأميركيُّون وحلفاؤهم.

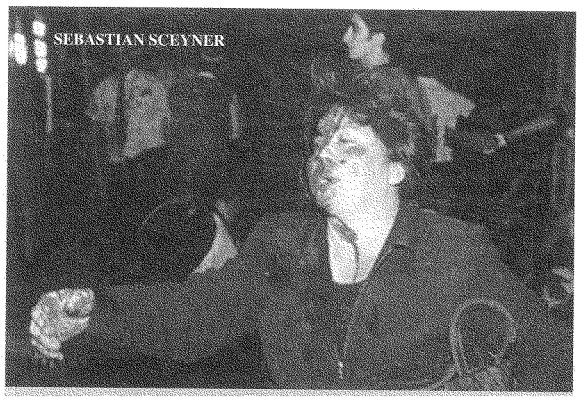

«يجب أن تشعر إسرائيل... أنّ جميع الأراضي المحتلّة أراضٍ غير آمنة» : هجوم على الحضيرة في مناطق ٤٨ (٢٢ نوفمبر، ٢٠٠٠)

١١ ـ عن خطر المقاومة المسلّحة على الوحدة الوطنيّة الفلسطينيّة:

نحن نَعْتبر أنّ إعلان السلطة الفلسطينيّة مَنْعَ الأعمال المسلّحة ضدّ إسرائيل كان خاطئًا. وفي كل الأحوال تبيّن لهذه السلطة هذا الأمر. والآن، عادت جميعُ الفصائل الفلسطينيّة لتقاتل في أراضي ٦٧ وأراضي ٤٨ في آن معًا، لأنّه ثَبَتَ بالدليل القطعيّ أنّ هذا التحييد الذي يُعطى لإسرائيل [تحييد أراضي ٤٨ من الأعمال العسكريّة] لن يَنْفع، بل ستوظّفه إسرائيلُ لراحتها واطمئنانها وستمارس أعمالاً عدوانيّةً إضافيّةً ضدّ الشعب الفلسطينيّ. وقد حاولت الفصائلُ الفلسطينيّةُ المقاتلةُ غيرُ المقتنعة بآراء السلطة الفلسطينيّة أن تتجنّب أيَّ صدام داخليّ. ونحن نؤكّد على السلطة الفلسطينيّة ضرورةَ أن تَلْحظ الوحدةَ الفلسطينيّةَ كأساس، وأن تَلْحظ أنّ إسرائيل لا يُمْكن أن تَقْنع بشيء، وأنّ مَنْ قال معها «أَلِف» عليه أن يُكْمل كلَّ حروف الهجاء الأخرى. يجب أن تَنْتهي السلطةُ من الإجابة على المطالب الإسرائيليّة، لتبدأ بمطالب فلسطينيّة. فكما تقول إسرائيل إنّها تريد أمرًا من السلطة فإنّ على السلطة أن تحاسِبَ إسرائيلَ على جرائمها، فتتحدّثَ عن البيوت التي تهدّمتْ وعن ضرورة إعادة بنائها، وتطالِبَ بالتوقُّف عن عدوانها. وحتى لو لم تُثْمر هذه المطالبُ فإنّه بدلاً من أن تبقى السلطةُ في دائرة المجيب عن الأسئلة الإسرائيليّة والمطالب الإسرائيليّة، يجب أن تحوّل هذا الأمر بحيث تكون إسرائيلُ هي المربَكة في الأسئلة الفلسطينيّة التي يَنْبغي أن تُطرح بكثافة وباستمرار.

ولكنّنا نحرص على التماسك الفلسطينيّ الداخليّ وعدم تحويل المأزق الإسرائيليّ إلى مأزق فلسطينيّ داخليّ، وإلاّ ربحتْ إسرائيل كثيرًا. ذلك أنّ عنوان انتصار إسرائيل هو الخلاف الفلسطينيّ ـ الفلسطينيّ، وعنوان خسارة إسرائيل هو التوافق الفلسطينيّ ـ الفلسطينيّ في مواجهة مشروعها. نحن نَعْتقد أنّ الهدف المشروع يجب أن يكون تحريرَ فلسطين كاملةً، لكنْ لا بدّ أن تتفاهم الفصائلُ الفلسطينيّةُ على الحدود الدنيا التي يمكن أن تَقْطعها سويّاً، فلا يَحْدث الخلافُ الآن على حجم التحرير الذي يريده كلُّ فصيل لأنّ الحدود الدنيا نفسَها غيرُ محقّقةٍ عند مَنْ يؤْمن [بأنّها هي نهايةُ المطالب]. ومن ثم فليتجاوز المجموعُ الفلسطينيُّ هذه المرحلةَ بالتعاون، إلى أن تتحقّق بعضُ الأهداف، فعندها يمكن الحديثُ عن التفاصيل الأخرى.

إلاّ أنّ اتفاقات أوسلو، بقناعتنا، هي اتفاقاتٌ مهينة ومذلّة، وأصبحتْ ساقطةً عمليّاً. بل إنّ إسرائيل نفسَها لا تريدها. وعلى كل حال تدلّ تطوُّرات الانتفاضة على أنّ أوسلو أصبحتْ من المخلّفات الماضية، ولا بدّ من أن يكون عنوانُ التحرير هو العنوانَ الأساسيّ... مع ضرورة المحافظة دائمًا على الوحدة الفلسطينيّة كشعار وكعمل تطبيقيّ أساسيّ، لأنّه بدونها يَصْعب أن تتحقّق إنجازاتٌ تَخْدم الفلسطينيّين.

والحمد للّه ربّ العالمين

بيروت